اشكالية الايقاع البديل في القصيدة الحرة و قصيدة النثر

سعدي يوسف و محمد الماغوط انموذجا

الماجستير

عمر عباس خضير

ماجستير ادب حديث

٢٠١٠

اشراف

الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

ظهرت القصيدة الحرة و قصيدة النثر لتطرحا معهما اشكالية الايقاع البديل الذي استعاضتا به عن الايقاع المألوف طوال القرون الماضية و الذي شكل طقسا مقدسا لا يمكن اهماله و تغاضيه فما هو هذا الايقاع ؟ و كيف يمكن ان يثري النص الموسيقي ؟ و لماذا وقف البعض موقف الضد منه ؟

ان الايقاع البديل الذي طرحته القصيدة الحرة و قصيدة النثر هو ما يعرف بالموسيقى الداخلية فللقصيدة الحرة و ان كانت قصيدة تفعيلة الا انها اعتمدت اساسا على الموسيقى الداخلية لانها كسرت الايقاع التقليدي للقصيدة العربية و الحال مع قصيدة النثر اوضح كونها اشد تمردا و خروجا عن الايقاع التقليدي ان الايقاع البديل يعتمد على (علائق الاصوات و المعاني و الصور و طاقة الكلام الايحائية و الذيول التي تجرها الايحاءات وراءها من الاصداء المتلونة المتعددة) [١] . و القائمة

[١] - مقدمة للشعر العربي ، ادونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ص١٤٠ .

على حركة مكوناتها كما تقول يمنى العيد (ارى ان الايقاع الداخلي قائم في حركة مكوناته)[٢] .

ان ما تقدم يتوافق مع ما ذهب اليه اليوت حيث يرى ان موسيقى الكلمة (تنتج من علاقتها بالكلمات السابقة عليها و التالية بعدها مباشرة و بصورة غير محددة من علاقتها بسائر سياقها)[٣] .

ان مفهوم الموسيقى الداخلية يستدق معناه في اذهاننا اذا ما فهمنا ان النص قائم بعلائقة في كل مستوياته و من تلك المستويات المستوى الايقاعي الذي انما يقوم على العلاقات الموسيقية التي تربط مكونات النص فالمعارضون لفكرة الموسيقى الداخلية انما يرتكزون على فهم متأثر بـ(كمية الايقاع) لا الى (حقيقة الايقاع و وظيفته) فهم يرون ان (اصطلاح الموسيقى الداخلية تسمية دقيقة لان الموسيقى لا تكون داخلية بل خارجية و الكلمة المنفردة صوت منفرد و الكلمات المتلاحقة اصوات متتابعة لا تشكل لحنا)[٤] ، و ليس هذا فحسب بل انهم توهموا باستنادهم الى اراء بعض البلاغيين الذين يرون انهم اكدوا على الوزن و القافية و اهملوا الموسيقى الداخلية و هذا الامر ليس دقيقا ، فالقدماء

---

[٢] - في معرفة النص ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥ ، ص١٠٠ .
[٣] - في الشعر و الشعراء ، اليوت ، ترجمة : محمد جديد ، دار كنعان للدراسات و النشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٣٤ .
[٤] - ازمة القصيدة العربية – مشروع تساؤل ، عبد العزيز مقالح ، دار الاداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٧٣ .

انتبهوا الى مفهوم الموسيقى الداخلية و اكدوا على القيم الصوتية للحروف و الكلمات و الجمل فقد اشار ابن سنان الخفاجي لذلك[٥] ، و بالاضافة لذلك فان الموسيقى الداخلية هي السر وراء تفوق بعض الشعراء على البعض الاخر و هو ما اشار اليه بعض النقاد الذين تناولوا شعر البحتري بقولهم ((ان بشعره صنعة خفية))[٦] .

ان الايقاع مفهوم اعم من العروض و تمرد قصيدتي الحر و النثر على العروض لا يعني خروجهما عن الايقاعية و خلوهما منه و كثيرا ما كان رواد قصيدة النثر يرددون ((الشعر ايقاع لا عروض))[٧] .

و الموسيقى اعم من ذلك يقول نزار قباني ((العروض ليس سوى قطرة صغيرة في المحيط الاكبر الذي هو الموسيقى))[٨] ، و هذا ما يقودنا الى احالة مفادها ان احد اسباب تقوقع الشعر العربي في محليته دون الولوج الى البوابة العالمية للاداب هو الفكرة القاصرة عن الموسيقى الامر الذي حدى رواد القصيدة الحرة و قصيدة النثر الى التمرد على الهندسة الموسيقية للقصيدة العربية .

---

[٥] - ينظر : بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث ، يوسف حسين بكار ، دار الاندلس للطباعة و التوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص١٤٥ .

[٦] - م.ن ، ص١٤٥ .

[٧] - الشعر العربي الحديث بنياته و بدالاتها ، محمد بنيس ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٣ ، ٢٠٠١ ، ص٤٣ .

[٨] - الاعمال النثرية الكاملة ، نزار قباني ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط٢ ، ج٧-ج٨ ، ١٩٩٩ ، ص٥١٧ .

و لنا القول - بعدما تقدم – ان الموسيقى الداخلية تشتغل على التكثيف الموسيقي لاثراء النص ايقاعيا و هي في سبيل ذلك تلج بنية الكلمة من خلال علائق حروفها و بنية الجملة من خلال العلائق التي تربط كلماتها و النص من خلال العلائق التي تكون دلالاته و من ذلك يمكننا وصف الايقاع الداخلي بانه متنوع مخلوق من رحم القصيدة لا مفروض عليها من خارجها كما يرى ذلك ادونيس محاولا تحديده بـ(التوازي و التكرار و النبرة و الصوت و حروف المد و تزاوج الحروف و غيرها)[٩] .

و هنا يمكننا ان نميز تواشجا بين ماهية الشعر و وظيفته و بين الايقاع البديل او الموسيقى الداخلية من خلال صفتين الاولى سمة التكثيف التي يمتاز بها الايقاع البديل و هي السمة المائزة بين ما هو شعري و ما هو نثري و الثانية سمة الهلامية فكما هو الشعر هلامي غير ممسوك كذلك الموسيقى الداخية ، يقول صابر عبيد (الايقاع الداخلي خال من المعيارية لانه يعتمد على قوانين النفس الفردية)[١٠] .

[٩] - في قصيدة النثر ، ادونيس ، دار العودة ، بيروت ، ص٨٠ .
[١٠] - القصيدة العربية بين البنية الدلالية و البنية الايقاعية ، صابر عبيد ، موقع نت ، www.awvdam.org/book/ol/stydylol.htm

قلنا ان الموسيقى الداخلية متنوعة و قد يختلف الايقاع تبعا لذلك التنوع فقد تعلو و تنخفض النغمات كما في قصيدة محمد الماغوط (عتبة بيت مجهول) اذ يقول :

لا نريد قمما و لا رايات

لا نريد هذه الاقواس المزدانة بالغضب و التراتيل

نريد ان نعود خافضي الرؤوس

نريد ان نموت في قرانا البعيدة

لساعات قليلة[١١]

حيث نلاحظ الانفعال المتولد من حروف المد الذي في الاداة (لا) و الصعود الذي تشي به (القمم) (الرايات) (الاقواس) (الغضب) (التراتيل) مما ولد ايقاعا صارخا بالرفض ثم يدخل الهدوء المشهد فجاءة من خلال (خافضي الرؤوس) (نموت) و ان كان النفي ولد التشنج و الحدة فلابد ان يكون الاثبات معاكسا لذلك مولدا مشهدا ايقاعيا هادئا حققه الفعل المثبت و المكرر (نريد) (نريد) .

[١١] - عتبة بيت مجهول ، محمد الماغوط ، مجلة شعر ، دار مجلة شعر ، بيروت ، س٤ ، ١٣٤ ، ١٩٦٠ ، ص٢٠ .

و قد تأتي الموسيقى الداخلية بايقاع ثابت في صعوده و انخفاضه كما ف قول سعدي يوسف :

للهدوء المبارك

هذي الخطى الملكية

و الشرفة العالية ابصر في نبضات الحديقة

دورة النمل

او ذرة الجلنار

غير اني اذا ما تولى النهار

ارتقي بالنعاس الذي لا يفاجئ

او بالنعاس الذي انتقي

بشرفة عالية

عبثا يستريح المحارب

و من بداية النص يقر الهدوء و يسيطر على المشهد ظاهرا بشكل صريح من خلال لفظه و التي تمازجت معه (الخطى الملكية) الرصينة الهادئة

و (نبضات الحديقة) الباعثة على الاسترخاء و التأمل و (دورة النمل) الهادئة قدر نشاطها و الغروب الذي اشار اليه الشاعر بـ(تولى النهار) حتى (النعاس) فليس هو مما يفاجيء ليثير حركة او يشير لحركة مباغتة بل هو مما ينتقيه و لا يفاجئه حتى اذا ما املنا ان يشهد النص حركة معاكسة ضاجة عند (المحارب) احالها الى هدوء و سكون فليس من شأن هذا المحارب الضاج بالحركة ان يسكن لان في سكونه و استراحته تناقض و التناقض حركة معاكسة صاعدة .

هذا ما يمكننا ايجازه عن الايقاع البديل عن الموسيقى الداخلية التي اعتمدتها قصيدتا الحر و النثر بديلا عن الموسيقى الخارجية انها تمرد حيث التمرد مستمر و الثورة تستكين اا ما وصلت للسلطة انها اعادة لتركيب النص و علاقة اكثر تجذيرا مع المتلقي .